

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[433] ثمَّ يؤكد ذلك أنَّهم لا يمكن أن يؤمنوا إلاَّ في حالة واحدة وهي أن يجبرهم
إِلاَّ بإرادته على الإيمان: (إِلاَّ أن يشاء إِلاَّ أنَّ إيماناً كهذا لا ينفع في تربيتهم
ولا يؤثر في تكاملهم وفي النهاية يقول: (ولكنَّ أكثرهم يجهلون). هناك كلام مختلف بين
المفسِّرين عمَّن يعود إلیهم الضمير "هم" في هذه العبارة، فقد يعود إلی المؤمنين الذين
أصروا على رسول الله(صلى إ عليه وآله وسلم) أن يحقق للمشركين طلباتهم ويأتيهم بكل
معجزة يريدونها. وذلك لأنَّ معظم هؤلاء المؤمنين كانوا يجهلون زيف الكفار في دعواهم،
ولكنَّ إ كان عالماً بأنَّهم كاذبون، ولذلك لم يجبه إ إلی طلباتهم، إلاَّ أنَّ دعوة رسول
الله(صلى إ عليه وآله وسلم) لا يمكن أن تخلو - طبعاً - من معجزة، فقد حقق إ في مواضع
خاصة معجزات مختلفة على يده. والإحتمال الآخر هو أنَّ الضمير "هم" يعود إلی الكفار
أصحاب الطلبات أنفسهم، أي أنَّ أكثرهم يجهل قدرة إ على تحقيق كل أمر خارق للعادة،
ولعلمهم يعتبرون قدرته محدودة لذلك كانوا يصفون معجز الرُّسول بالسحر، يقول سبحانه:
(ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلاًوا فيه يعرجون لقالوا إ زماً سكرت أبصارنا بل
نحن قوم مسحورون)(1) فهم قوم معاندون وجاهلون وينبغي أن لا يهتم أحد بكلامهم. * * *